

الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية  
بعض الأنبياء في القرآن الكريم  
(دراسة تحليلية)



د. ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي  
الأستاذ المشارك بقسم القراءات  
كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

ملخص :

تستهدف الدراسة تسليط الضوء على الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية بعض الأنبياء عليهم السلام؛ لما لأدعيتهم من خواصّ عليّة عن غيرهم، كونهم خير خلق الله، ولإلهام الله لهم بجوامع الكلم، ولتحقيقهم أعلى مراحل سمو في نوعي الدعاء (العبادة، والمسألة)، فلا عجب أن تخرج من ألسنتهم خير الأدعية وأجمعها لكل خير، وأمنعها لما يتقى شره، فجاءت أدعيتهم كما حكى عنهم القرآن الكريم مستوفية لأوصاف الدعاء الصحيح كما يحبه الله ويرضاه.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، وكان الفصل الأول بعنوان: مفهوم الدعاء وأنواعه وفضله، فصلت الكلام عليه في مبحثين، وعنوان الفصل الثاني: بعض أدعية الأنبياء ودلالاتها القرآنية، فصلتها في مبحثين كذلك، ثم أتبع ذلك بخاتمة ونتائج بينت علو همة الأنبياء في الدعاء، وتعليم الله لهم أفضل الكلام وجوامعه في الدعاء.

وقد اتبعت في معالجة هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي؛ حيث أستقرئ آيات القرآن، وأستنبط منها أدعية بعض أنبياء الله -عليهم السلام- مع إلقاء الضوء على أهم الدلالات والهدايات القرآنية لهذه الأدعية الشريفة.

الكلمات المفتاحية: أدعية الأنبياء، الهدايات القرآنية، العبادة، المسألة.

## المقدمة

الحمد لله الرحيم الودود، القريب المجيب، ذو العرش المجيد، معلم أنبيائه وأوليائه التقرب منه والزلفى إليه أمرهم بدعائه، وضمن لهم الإجابة، وأجرى على ألسنتهم جميل القول وجوامع الكلم، والصلاة والسلام على معلم الأمم على آله وأصحابه ومن اجتبى، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد ..

قال الله في محكم التنزيل :

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر: ٦٠]، وقال سبحانه وتعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة البقرة: ١٨٦].

ولما كان الدعاء في القرآن الكريم هو الأنموذج الذي ارتضاه الله لعباده فأمرهم به، وبين لهم كل ما يتعلق بهذه الشعيرة، وأجراه على لسان أنبيائه وهم خير خلقه؛ اخترت أدعية الأنبياء خاصة، لأن دعاءهم أكمل الدعاء وأشمله لأمر الدين والدنيا، فضلاً عن الآداب التي تأدبوا بها وأحوالهم حال الدعاء.

والدعاء في حياة المؤمن أمر فطري، فلا يكاد يجد نفسه في مأزق أو ضيق، إلا وسارع إلى دعاء الله تعالى، والأنبياء هم أعلم الخلق بأهمية اللجوء إلى الله، ليس فقط وقت الضيق،

وإنما كان لحياتهم نسقٌ واضحٌ وهو ديمومة اللجوء إليه سبحانه، وقد شملت دعواتهم الثناء على ربهم وسؤاله سبحانه رضاه وعفوه، كما شملت كذلك شؤون حياتهم المختلفة. نلمس هذه المعاني من خلال تدبرنا لآيات أدعية الأنبياء في القرآن، ليتبين لنا مدى أهمية دعواتهم في حياتهم الدنيوية، وحاجاتهم الفطرية، وتكمن هذه الأهمية في أنهم بشر يخضعون للظروف ذاتها التي يتعرض لها البشر إلا أن ابتلاء الأنبياء أشد وأعظم.

#### أهمية البحث:

○ تأتي أهمية البحث من ارتباطه بكتاب الله تعالى والذي هو من أشرف العلوم وأعلاها منزلةً وقدرًا، وتعلقه بدعاء الأنبياء وهم القدوة لأمتهم، والمعلّمون من قبل رب العالمين.

#### أهداف البحث:

وتتلخص أهداف البحث فيما يلي:

- التعرف على مفردات البحث: ماهية الدعاء وأنواعه وفضله.
- التعرف على الدلالات القرآنية من أدعية الأنبياء عليهم السلام.
- التعرف على الأهداف السلوكية المستفادة من البحث.

#### منهج البحث:

○ اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي؛ حيث أستقرئ آيات القرآن لأستخرج بعض أدعية الأنبياء عليهم السلام، والمنهج الاستنباطي من خلال استنباط الدلالات والآثار والمفاهيم العميقة من أدعية الأنبياء في القرآن الكريم، مع ذكر أحوالهم حال

الدعاء، وطريقتهم في عرض ابتهالاتهم وتقديمها بين يدي الله.

### خطة البحث:

شمل البحث ملخصًا للبحث، ومقدمة له تحدثت فيها عن أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته، وبناءً على أهداف وتساؤلات البحث تم تقسيم فصول الدراسة كما يلي:

الفصل الأول/ مفهوم الدعاء، وأنواعه، وفضله، وقد شمل مبحثين:

- المبحث الأول: مفهوم الدعاء لغةً واصطلاحًا.
  - المبحث الثاني: أنواع الدعاء في القرآن الكريم، والعلاقة بين نوعيه، وفضله.
- الفصل الثاني/ بعض الأدعية النبوية في القرآن الكريم، ودلالاتها القرآنية، وقد شمل

مبحثين:

- المبحث الأول: دعاء الأنبياء عليهم السلام على صعيد علاقتهم مع خالقهم.
- المبحث الثاني: دعاء الأنبياء عليهم السلام على صعيد علاقتهم مع المخلوقين.

الخاتمة وأهم النتائج.

الفهارس العلمية:

○ فهرس المصادر والمراجع

○ فهرس الموضوعات

## الفصل الأول

### مفهوم الدعاء وأنواعه وفضله

#### المبحث الأول / مفهوم الدعاء لغةً واصطلاحاً.

##### الدعاء في اللغة:

من قوله: "دعوت الشيء، أدعوه، دعاءً، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دعاءً، كما تقول: سمعت صوتاً، وكما تقول: اللهم اسمع دعائي"<sup>(١)</sup>

وقال الزمخشري: "دعوت فلاناً، وبفلان: ناديته وصحت به، وما بالدار داع ولا مجيب، والنادبة تدعو الميت: تندبه، تقول: وازيداه، ودعاه إلى الوليمة، ودعاه إلى القتال، ودعا الله له وعليه، ودعا الله بالعافية والمغفرة، والنبى داعي الله"<sup>(٢)</sup>.

وقال الفيومي: "دعوت الله، أدعوه، دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورجبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة، فهو داعي الله، والجميع دعاة وداعون، مثل قاضي وقضاة وقاضون، والنبى داعي الخلق إلى التوحيد، ودعوت الولد زيدا وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم"<sup>(٣)</sup>.

(١) الخطابي البستي، حمد محمد أبو سليمان (ت٣١٩هـ)، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد الدقاق، ط١٤١٢هـ، دار الثقافة، ص٣

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، ط٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، ص١٣٤

(٣) المقرئ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط٢٠١٤هـ، دار الفكر، ص١١٦

### الدعاء في الاصطلاح:

هو "استدعاء العبد ربه عزوجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهما سمة العبودية، واستحضار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عزوجل وإضافة الجود والكرم إليه"<sup>(١)</sup>.

وأما ابن القيم فقد عرف الدعاء (دعاء المسألة) بأنه: "طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك اللحياني أراد بالدعاء: "سؤال العبد ربه حاجته"<sup>(٣)</sup>.

وأضاف القحطاني: "قد يطلق الدعاء على التقديس والتحميد ونحوهما"<sup>(٤)</sup>.

فيظهر لنا أنه قد جمع بين دعائين (دعاء العبادة، ودعاء المسألة) في تعريفه، وسنأتي على وصف أنواع الدعاء.

ومن خلال تعريفات الدعاء في الاصطلاح يتضح لنا أن الدعاء هو شعور خالص بقوة الرغبة لله وفيها عند الله، فهو مناجاة العبد ربه، مناجاة قلبية ولسانية، تليق به سبحانه،

(١) الخطابي البستي، شأن الدعاء، ص ٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، ط ١، ١٤١٦ هـ، ٣/ ٥١٣.

(٣) اللحياني، عبد الله بن سعاف، الدعاء بعد المكتوبة على ضوء السنة المطهرة، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٦٥ ص ٦٥.

(٤) الخطابي، شأن الدعاء، ص ٢.

## الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية بعض الأنبياء في القرآن الكريم

تعظيماً وتقديساً وحمداً وثناءً وشكراً وابتهاًلاً وافتقاراً، وسؤالاً وطلباً ونداءً واستغاثةً، وقربةً وذلةً واستكانةً؛ حتى يكون العبد مستخلصاً كامل العبودية لله رب العالمين.

فيتعبد إلى الله بالدعاء بالحمد والسؤال وبالتذلل له سبحانه؛ لينال بذلك قربته، ويكسب حبه، ويهنأ بعفوه، وتُملؤ بالخير أيامه.

### معاني الدعاء في القرآن الكريم:

من خلال استقراء مصادر معاني الألفاظ لآيات القرآن الكريم عند أئمة التفسير نستخرج معاني الدعاء في القرآن، فللدعاء في القرآن معان عدة وعظيمة منها:

العبادة: يقول الله عز وجل

{وَأَصْبِرْ لِمَا لِي يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [سورة الكهف: ٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره: "(الذين يدعون ربهم) أي: يعبدون ربهم"<sup>(١)</sup>.

التوحيد والطاعة: نحو قوله تعالى:

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر: ٦٠].

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبد الله بن عباس رضي الله عنها، دار الكتب العلمية - ج ١ / ص ٣٠٢

قال ابن عباس رضي الله عنه: " ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ) أي: وحدوني ( أَسْتَجِبْ لَكُمْ )  
أغفر لكم"<sup>(١)</sup>

• النداء ، نحو قوله عز وجل :

{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَإِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة  
الإسراء: ٥٢]،

يقول السعدي رحمه الله: (يدعوكم) للبعث والنشور وينفخ في الصور<sup>(٢)</sup>

القول، نحو قوله تعالى: {فَمَا كَانَ

دَعْوَاهُمْ إِذْ تَبَأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [سورة الأعراف: ٥].

يقول ابن عباس رضي الله عنه: " (فما كان دعواهم) أي قولهم"<sup>(٣)</sup>

السؤال : نحو قوله تعالى :

{قَالُوا جَمَلْنَا حَمِيَّيْنِ خِمَاهِيَّ قَالَ إِنَّهُ يَفْقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ  
بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} [سورة البقرة: ٦٨].

يقول ابن عباس رضي الله عنه: " (قالوا ادع لنا ربك) أي سل لنا ربك."<sup>(٤)</sup>

(١) الفيروز آبادي، تنوير المقباس، ج ١ / ص ٤٩٣

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تفسير

السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ج ١ / ص ٤٦٠

(٣) الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ج ١ / ص ١٦٢.

المقدرة والرفعة: نحو قوله عز وجل :

{لَا جَرَمَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنْ بَرَّ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَتَارِكُوا} [سورة غافر: ٤٣]

قال ابن عباس رضي الله عنه: " (ليس له دعوة) أي المقدرة"<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني

أنواع الدعاء، والعلاقة بين نوعيه، وفضله.

أولاً: أنواع الدعاء.

الدعاء الذي حث الله عز وجل عليه عباده في كتابه الكريم نوعان: دعاء عبادة، ودعاء

مسألة.

يقول السعدي: " كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة، وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة، دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء، ويدل على عموم ذلك قوله تعالى: ﴿.....﴾ [غافر ٦٠]، أي: أستجب طلبكم وأتقبل عملكم.<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع السابق- ج ١ / ص ١١.

(٢) الفيروز آبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ج ١ / ص ٤٩١.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، دت، مكتبة الرشد، ط ١٤٢٠،

فدعاء المسألة كما أشار ابن القيم هو: "هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه"<sup>(١)</sup>.

أما دعاء العبادة: فهو الدعاء الذي "يكون بلسان الحال، وهو دعاء سلوكي ومظهر أخلاقي وحال إيماني، يبدو فيه المسلم موحدًا لله، بحيث تنطق أفعاله أنه لا معبود بحق سواه"<sup>(٢)</sup>.

وهو: "طلب الثواب بالأعمال الصالحة: كالنطق بالشهادتين، والعمل بمقتضاها، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذبح لله، والنذر له، وبعض هذه العبادات تتضمن الدعاء بلسان المقال مع لسان الحال كالصلاة"<sup>(٣)</sup>.

وفسر شمس الدين نوعي الدعاء بالمسألة والطلب، لكنه فرق بينهما بقوله: "دعاء العبادة الطلب والمسألة بامثال الأمر واجتناب النهي، ودعاء المسألة الطلب والمسألة بالصيغة القولية"<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال مفهوم نوعي الدعاء يتضح أن دعاء المسألة داخل في مفهوم دعاء

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد، ج ٣ / ص ٥١٣

(٢) الرضواني، محمود بن عبد الرزاق، كتاب أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، ت د، ط ١٩/٣٤

(٣) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (ت ١٤٤٠هـ)، شروط الدعاء وموانع الاجابة في ضوء الكتاب والسنة، ت د، ط د، ص ٤

(٤) الأفغاني، شمس الدين محمد بن أشرف بن قيصر (ت ١٤٢٠هـ)، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ط

١٤١٦هـ، دار الصميعي، ٣/ ١٣٩٧

## الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية بعض الأنبياء في القرآن الكريم

العبادة؛ لأن دعاء المسألة هو عبادة لله قلبية وقولية، والطلب والمسكنة لله عبادة، فإله تعالى يجب عباده السائلين ربهم في جميع أحوالهم، حال الاضطرار وطلبه الغوث، وحال الرخاء كذلك، ونخرج من ذلك بفائدة؛ أن الاستغاثة وطلب الغوث من المخلوق للخالق تكون من المكروب فقط، أما الدعاء فهو أعم، ويكون حال الكرب وغيره.<sup>(١)</sup>

فدعاء المسألة هو الدعاء المعروف، وهو مناجاة الله وسؤاله الخير، أو الاستغاثة به حال الكرب رجاء زواله، ويشمل أي سؤال من العبد للخالق، أما دعاء العبادة فهي العبادة ذاتها من صلاة وصوم وحج وذكر وقراءة للقرآن، والتقرب إلى الله عز وجل بها.

### ثانيًا: العلاقة بين نوعي الدعاء.

من الضرورة معرفة العلاقة بين نوعي الدعاء حيث إن أدعية الانبياء اشتملت على كلا النوعين، فإن "دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ويراد بالدعاء في القرآن دعاء العبادة تارة ودعاء المسألة تارة، ويراد به تارة مجموعهما"<sup>(٢)</sup>.

فكل "دعاء عبادة" مستلزم لدعاء المسألة، وكل "دعاء مسألة" متضمن للعبادة، وعلى

هـذا فقولنا هـ تارة

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَ تَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة البقرة: ١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت

(١) القحطاني، شروط الدعاء وموانع الاجابة "بتصرف"، ص ٧-٨

(٢) المرجع السابق. ص ٨

الآية، قيل: أعطيه إذا سألتني، وقيل: أثيبه إذا عبدني والقولان متلازمان<sup>(١)</sup>  
فلا تعارض بين القولين، والسؤال والعبادة حالان متلازمان، مثاله قوله  
عز وجل: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فالدعاء يتضمن النوعين، وهو في دعاء العبادة  
أظهر، ولهذا عقبه بقوله: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)"  
<sup>(٢)</sup> وجاءت هذه الآية تفسيراً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (الدعاء هو العبادة)<sup>(٣)</sup> كما ذكر  
في حديث النعمان بن بشير.

ودعاء المسألة ودعاء العبادة متلازمان من جهة الداعي أي (العبد)، فإن دعاءه  
بنوعيه مبني على الخوف والرجاء، ومن جهة المدعو فإنه لا بد أن يكون مالئاً للنفع والضرر،  
يقول ابن تيمية: "وكل سائل راغب وراهب، فهو عابد للمسئول، وكل عابد له فهو أيضاً  
راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، فأحد  
الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب  
جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتنال  
الأمر - وإن لم يكن في صيغ السؤال - والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه، هو أيضاً راج  
خائف راغب راهب، يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته، قال

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد. ٥١٣/٣

(٢) ابن القيم، المرجع السابق. ٥١٤ / ٣

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة البقرة، ٨٠ / ٥  
برقم ٢٩٦٩، وقال الترمذي: حسن صحيح.

تعالى: {خَمَلُهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي  
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾} [سورة الأنبياء: ٩٠]،  
وقال تعالى: قال تعالى: {لِيَلْمِي الْمَضَاجِعَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا يَنْفِقُونَ يَرِ  
[سورة السجدة: ١٦].<sup>(١)</sup>

فلا يتصور أن يخلو داع لله - دعاء عبادة أو دعاء مسألة - من الرغبة والرغبة، ومن  
الخوف والطمع.

### ثالثاً: فضل الدعاء.

إن الله عز وجل أمر عباده بالدعاء وحث عليه، ووعدهم بالإجابة فقال سبحانه  
وتعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [سورة غافر: ٦٠].

يقول ابن كثير رحمه الله: "هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى  
دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ  
فَأَكْثَرَ سؤَالَهُ، ويا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ".<sup>(٢)</sup>  
فللدعاء فضائل عظام، وتكمن أهميته فيما يلي:

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ)، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق  
محمد السيد، ط ١٤٠٤هـ، مؤسسة علوم القرآن، ٢ / ٣٥٩.

(٢) ابن كثير الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي محمد  
سلامة، ط ١٤٢٠هـ، دار طيبة، ٧ / ١٥٣.

• أن الله يغضب ممن لا يسأله ويلتجئ إليه لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "من لم يسأل الله غضب عليه"<sup>(١)</sup>

• أن الله أضاف لفظ العباد إليه تقرباً له سبحانه منهم، وتكفل بالإجابة المباشرة لهم فقد قال عز وجل:

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة البقرة: ١٨٦].

قال ابن كثير رحمه الله: "سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه؟ فسکت النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}"<sup>(٢)</sup>

• وأن الله تعالى وعد عباده القرب منهم حال الدعاء، وسماعه لا بتهالاتهم،

واستجابته لهم سبحانه، فقال عز من قائل:

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة البقرة: ١٨٦].

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات/ باب منه، ٥ / ٤٥٦ برقم ٣٣٧٣، وقال الترمذي: وروى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هذا الحديث ولا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو المليح اسمه صبيح سمعت محمداً يقول وقال يقال له الفارسي: حدثنا إسحق بن منصور حدثنا أبو عاصم عن حميد بن أبي المليح عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ١ / ٥٠٦

" هذا جواب سؤال، فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة، ولهذا قال: (أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ) "﴿٣٠﴾" فجميع آيات السؤال في القرآن أتت بلفظ (قل) عند الإجابة، (قل) لهم: أي يا محمد، إلا سؤال الدعاء، أجاب ربنا سبحانه وتعالى إجابة مباشرة بدون واسطة (فإني قريب)؛ لدلالة القرب الكامل من عباده سبحانه، ووجه للسائلين منهم "﴿٣١﴾".

فالقصد من الدعاء القرب من الله، واللجوء إليه، لا الدعاء نفسه، وتجييب العبد إلى ربه، والاستعانة به في جميع شؤونه بكثرة ذكره ومناجاته، وسؤاله حاجياته، مع يقين القلب بقبول ابتهالاته وحكمة الله في إجابة دعواته.

● أن دعاء الله سبب لرد الشقاء عن عباده المؤمنين؛ فقد قال الله سبحانه وتعالى على

لسان خليله إبراهيم عليه السلام :

{وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا ﴿٤٨﴾}

[سورة مريم: ٤٨]، أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من

(١) السعدي، تفسير السعدي، ١ / ٨٦.

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١ / ٥٠٦.

أيس ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، فوظيفته أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله".<sup>(١)</sup> وهذا تذكير لمن أصابه ضرر أو أذى من أحد، ألاّ يشغل به، ولا يفكر بالضر الذي حل به، بل يلجأ إلى الله ويسأله كشف الضر؛ فالله وحده من يرفع الضر، ويجلب السعادة، ويرزق العبد راحة البال، ورضى النفس.

• أن الله تعالى أثنى على أنبيائه به، ووصف فيهم سرعتهم في أداء الخير، ودعاهم الله

رغبة ورهبة فقال تعالى :

{خَلَلَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجَهُ وَآتَاهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ

فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ} [سورة

الأنبياء: ٩٠].

يقول السعدي رحمه الله: " لما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراده، أثنى

عليهم عموماً فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} أي: يبادرون إليها

ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة

يقدرون عليها إلا انتهزوا الفرصة فيها، {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} أي: يسألوننا الأمور

المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار

الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون"<sup>(١)</sup>.

- أن الدعاء سبب لرد القضاء؛ يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"<sup>(٢)</sup>

قال رسول الله لا يرد القضاء إلا الدعاء، والقضاء هو الأمر المقدر، ومعنى الحديث أنه إن أراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه به ويتوقاه، فإذا وفق للدعاء دفعه الله عنه، أو أراد برد القضاء إن كان المراد حقيقته تهوينه وتيسير الأمر حتى كأنه لم ينزل.<sup>(٣)</sup>

- أن الدعاء هو جماع الخير كله، وهي فضيلة نراها في جميع العبادات، إن حُسن فيها الدعاء، حُسنت العبادة، كالصلاة كلها دعاء، والصوم وصانا الله بالدعاء حال الصوم وعند الفطر، كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه

(١) السعدي، تفسير السعدي، ١ / ٥٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، ٢/٢٢٥ برقم ٢١٣٩. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي أسيد وهذا حديث حسن غريب من حديث سلمان لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن الضريس و أبو مودود اثنان أحدهما يقال له فضة وهو الذي روى هذا الحديث اسمه فضة بصري والآخر عبد العزيز بن أبي سليمان أحدهما بصري والآخر مدني وكانا في عصر واحد، هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) القاري، الملا علي بن سلطان بن محمد (ت ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ت د، ط ١٤٢٢هـ، دار الفكر، ٧ / ١٢١-١٢٢.

وسلم: " للصائم عند فطره دعوة لا ترد"<sup>(١)</sup>

وفي الحج كذلك نرى الدعاء فيه كل أحواله، وفي حال العبد من أول يومه لآخره كله دعوات والتجاءات لله بذكره ودعوته وحسن عبادته، فإن وفق الله العبد بالدعاء له ليسأله الخير الذي يريد من خيري الدنيا والآخرة، ووفق بعدها للطاعات.

• أن الدعاء من أكرم الأشياء عند الله كما في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام

قال: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"<sup>(٢)</sup>

• والدعاء سبب للذل والانكسار بين يدي الرب، وهي علامة من علامات حب الله للعبد، أن يوفقه للانطراح بين يديه، وسؤاله مسألته، وتخليص القلب وتفريغه من التعلق بغيره.

فاستجابة الله لدعاء العبد واقعة لا محالة لو عده لهم سبحانه، وفي الحديث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ربكم تبارك وتعالى حيبي كريم؛ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً"<sup>(٣)</sup>

فاستجابة الدعاء ليس كقبوله، فكل دعاء مستجاب، إنما قبول الدعاء وتحقيقه كما

(١) البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إساعيل (٨٤٠هـ)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي، ط ١، ١٤٢٠هـ، دار الوطن، ٣/١٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ٥/٤٥٦ برقم ٣٣٧٣، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وقدره واهم منصور، والأعمش، عن أبي ذر، ولا نعرفه إلا من حديث أبي ذر.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب تفرغ أبواب الوتر، باب الدعاء، ٢/٧٨ برقم ١٤٨٨، وقال الألباني: صحيح.

يريد العبد هي بحكمة الله وعلمه لحال عبده.

## الفصل الثاني

### الدلالات القرآنية من أدعية الأنبياء عليهم السلام

دلّت آيات دعاء الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم على دلالات عدة تدور حول

مبحثين، وهما:

أولاً / على صعيد علاقتهم مع خالقهم؛ وتتمثل في تعبدهم بالدعاء.

ثانياً/ على صعيد علاقتهم مع المخلوقين؛ وتتمثل بأداء مهمتهم في تبليغ دين الله،

والالتجاء إلى الله لتفريج كربهم مع أقوامهم أو للانتصار لهم.

### المبحث الأول/ على صعيد علاقتهم مع خالقهم سبحانه وتعالى

لقد فهم الأنبياء -عليهم صلوات الله وسلامه- أن من أبرز مظاهر الوحدانية التي

يدعون أقوامهم إليها هي اللجوء إلى الله عز وجل وحده، والازدلاف إليه، وتقديم مطالبهم

وحاجياتهم بين يديه سبحانه، فحققوا بذلك العبودية بأسمى معانيها في كون الإيمان ليس

تصديقاً فقط بل قولٌ وفعل، والدعاء هو ثمرة الإيمان وتصديق القلب.

ومن الدلالات القرآنية لأدعية الأنبياء عليهم السلام ما يلي:

الدلالة الأولى/ تعبدهم بلفظ الربوبية لله عز وجل:

لقد آثر الأنبياء عليهم السلام الدعاء بلفظ الربوبية ( رب ) عند سؤالهم الله عز وجل،

ومن أمثلة دعواتهم، دعاء نوح عليه السلام: { قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي } [سورة

المؤمنون: ٢٦]. ودعاء سليمان عليه السلام:

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي بِهِتْحَتْحَتْمَتْمَهْ إِنَّكَ جَمَلٌ وَهَّابٌ هـ} [سورة ص: ٣٥].

ودعاء إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [سورة إبراهيم: ٤٠]. وفي اختيارهم لفظ (رب) دلالة على التربية والرعاية والولاية، وإيثار

وصف الربوبية في مثل هذا الموقف ينبيء عن إضافة ما فيه صلاح المربوب<sup>(١)</sup>.

الدلالة الثانية/ تعبدهم بالأوبة وسؤال الله المغفرة:

إن من أهم ما يسأل العبد المؤمن ربه، سؤاله مغفرة الذنوب، والطمع بعد المغفرة في النجاة من النار، ودخول الجنة، والعبد محتاج إلى الاستغفار من الذنوب، وطلب العفو من الله عز وجل، لأنه يخطئ بالليل والنهار، والله يغفر الذنوب جميعاً، ولعظم أمر الاستغفار؛ قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عن ابن عمر رضي الله عنه: " يا ايها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة"<sup>(٢)</sup>، ومما يدل على أهمية وعظم الاستغفار وروده على السنة الأنبياء في دعائهم لله عز وجل، بل تقديمهم طلب المغفرة على مطالبهم الدنيوية والأخروية كما سنذكر لاحقاً.

ونريد أن نخرج على مفهوم الاستغفار؛ لاستشعار أهميته ودلالات عناية الأنبياء به عند دعائهم الله عز وجل.

(١) أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، تحقيق دار إحياء التراث، ط د، ٥ / ٢٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ٦ / ١١٦ ح ١٤٠١.

### مفهوم المغفرة:

لغة: من الفعل الثلاثي (غفر) ومعناه: سَتَرَهُ، وَغَطَّاهُ، وَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا وَغِفْرَةً حَسَنَةً، وَغَطَّى عَلَيْهِ، وَعَفَا عَنْهُ، وَاسْتَغْفَرَهُ مِنْ ذَنْبِهِ وَاسْتَغْفَرَهُ إِيَّاهُ: طَلَبَ مِنْهُ غَفْرَهُ<sup>(١)</sup>.

اصطلاحاً: طلب المغفرة، أي سؤال الله المغفرة، وهي الستر والصفح والمعافة من عقوبة الذنب وآثاره المترتبة عليه في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

والمغفرة هي: أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته<sup>(٣)</sup>، فالغفران ينبيء عن الستر<sup>(٤)</sup>، وهي صفة لله عز وجل وحده، وكثيراً ما يقرب الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حيثئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح<sup>(٥)</sup>.

من نماذج الدلالات القرآنية لدعاء الأنبياء عليهم السلام بطلب الله المغفرة قبل الشروع في الدعاء:

يقول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي بِهِ تَجْتَحِ تَحْتَم}

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، باب الغين، رتبة ووثقه خليل مأمون شيخنا، ط د، دار المعرفة، ٤٧٧/١.

(٢) القصير، عبد الله بن صالح، الاستذكار لشأن وآثار الاستغفار، ت د، ط ١٤٢٤ هـ، ص ٣.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (٨١٦هـ)، التعريفات. تحقيق دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٣، ص

(٤) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، فقه الأسماء الحسنی، مكتبة الملك فهد، ت د، ط ١٤٣١ هـ، ص ١٤٢

(٥) الفحطاني، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٨١

تَهَ إِتَّكَ جَمُّ الْوَهَّابِ هَمْ} [سورة ص: ٣٥].

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي تَرِ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾} [سورة الأعراف: ١٥١].

ودعاء نوح عليه السلام: {نَحْمِدُكَ يَا وَلِيَّ وَلَوْلَدَيْكَ وَلَمَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ مَوْمِنًا هَمْ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَجِيحُ الظَّالِمِينَ يَه تَبَارًا ﴿٢٨﴾} [سورة نوح: ٢٨].

الدلالة الأولى: أن المستغفر يقر باسم الله الغفار، ويقر بربوبيته وألوهيته، ويتعبد لله بهذه العبادة العظيمة التي يجب توفرها فيمن يملك حق الاستخلاف وعمارة الأرض، ليقوم بها على أكمل وجه وهو طاهر القلب، سليم النفس من أدران الذنوب، كما أن "علم العبد بهذه الأسماء العظيمة باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة والبعد عن القنوط، وتعاضم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور لا يتعاضمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم، والعبد على خير عظيم ما دام طالبا عفو ربه راجيا غفرانه" (١).

الدلالة الثانية: استفتاح الأنبياء عليهم السلام بطلب المغفرة حال الدعاء، ومع أن الانبياء هم صفوة البشر وخيرة الخلق؛ إلا أنهم كانوا يسألون الله غفران الذنوب ومحو السيئات، إن تأملنا في دعاء الأنبياء عليهم السلام لوجدنا أنهم يتدثرون الدعاء بطلب المغفرة

(١) البدر، فقه الأسماء الحسنی، ص ١٤٥

## الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية بعض الأنبياء في القرآن الكريم

من الله سبحانه وتعالى، رغم نبوتهم وكمالهم واصطفائهم من قبل الله عز وجل، وذلك يدل على عظيم حاجتهم لله عز وجل، وأن حياة الإنسان لا تصفو ولا تكتمل دون اللجوء إلى الله وطلب الغفران منه ومحو الخطايا، والحكمة من تقديم الاستغفار قبل الدعاء: "أن العبد إذا نال المغفرة من الله، وسلم من شر ذنوبه، وفاز بالقرب من الله، فإن ما بعد طلب المغفرة من المسائل أخرى بالإجابة"<sup>(١)</sup>.

**الدلالة الثالثة:** من هدي الأنبياء عليهم السلام في الدعاء، طلب المغفرة للنفس ثم الوالدين والمؤمنين، وهذا دليل على أهمية أن يبدأ الإنسان بنفسه في الدعاء، ثم يدعو لوالديه وأقرب الناس إليه فضلاً، ثم يدعو للمؤمنين معه؛ فهو كدعائه لنفسه، وسيناله من الخير والمغفرة مثل دعائه لغيره، ويترتب على ذلك الآثار التربوية التالية:

- تربية النفس إيماناً وتعويدها على السعي لمصالحها الخاصة أولاً فيما يتعلق بالأمر الديني والدينيوية، فمن المعتاد حرص الناس على عدم فوات الأمور المادية، فمن باب أولى الحرص على تجنب فوات تحقق الخير والأجر فيما يتعلق بالدين والأمر الأخروية، فعدم الاهتمام بالدعاء للنفس دليل على فتور همة الإنسان، لأن الاستغفار معناه محو الخطايا، وتصفية النفس، فهذا وعد من الله لعباده، قال تعالى: {وَأَنِّي لِيَٰبِئْرَءِآءِ مِن دُونِ الْعِبَادِ إِذْ يَدْعُونَ إِلَيَّ وَإِنِّي لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة طه: ٨٢].
- اهتمام الأنبياء عليهم السلام بالدعاء للوالدين فيه تهذيب للنفس وتذكيرها بفضل

(١) القصير، الاستدكار لشأن وآثار الاستغفار، ص ٥٢.

الوالدين، وعظيم حقهم على أولادهم، واستحقاقهم لطلب المغفرة ومحو السيئات عنهم،  
و تمنى السعادة والفوز لهم في الدنيا والآخر.

- من خلال دعاء الأنبياء للمؤمنين دلالة على مبدأ الاهتمام بالغير ومعناه: "الاجتماع بالناس ونفعهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونشر- الخير بينهم، فالاهتمام بالآخرين، عنصر أساسي من عناصر التربية الذاتية.. كما أن من أخص خصائص الإنسان أن ينتمي إلى وسط ما يشعر بمشاعره ويحس بأحاسيسه، ويتحول هذا الوسط في التربية الإسلامية إلى ما يسمى بالأخوة الإسلامية التي تقوم على الحب في الله، وهذه الأخوة لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع إلا من خلال المساعدة والمساندة والاهتمام والسعي.."<sup>(١)</sup>

ويظهر من دعاء عيسى عليه السلام مبدأ الاهتمام بالغير، لقومه تعالى على لسان نبيه عليه السلام: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْجَلِيلُ} [سورة المائدة: ١١٨].

الدلالة الرابعة: من خلال آيات القرآن الكريم في لجوء الأنبياء عليهم السلام إلى الله بطلب المغفرة، يتبين لنا أسلوب من أساليب التربية الذاتية اتبعه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وهو أسلوب المحاسبة، ومعناه: التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، فَيَسْتَصْحِبُ

(١) الأهدل، هاشم بن علي، التربية الذاتية من الكتاب والسنة. الدرر السنوية، [www.dorar.com](http://www.dorar.com)، ص ٥٣.

مَا لَهُ، وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ"<sup>(١)</sup>، فمن مبادئ التربية الذاتية مبدأ المسؤولية والجزاء، والذي يقتضي أن يحاسب المرء نفسه على الدوام، كي لا تحيد عن الجادة المثلى، وتعد منزلة المحاسبة من أفضل المراتب؛ لأنها تحتاج إلى مراقبة دائمة، ومجاهدة مستمرة للنفس الإنسانية، كما أن من فوائد أسلوب المحاسبة في تربية النفس أنه يربي الضمير، وينمي في الذات الشعور بالمسؤولية، ووزن الأعمال والتصرفات بميزان دقيق، وهو ميزان الشرع<sup>(٢)</sup>، فهذا نوح عليه السلام يصرح بعظيم الخسارة عند فوات المغفرة، قال سبحانه وتعالى: {قَالَ رَبِّ لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا بَرِي وَتَرَحَّمْتَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة هود: ٤٧]. وإبراهيم عليه السلام هو ثاني أولي العزم من الرسل وخليل الله يبتهل إلى ربه فيقول لتعالى عنه: {لَا خَلَاءَ لِي مِنْكَ وَمَا كُنْتُ بِمُؤْمِنٍ بِمَا كُنْتُ بِكَ بِرَبِّكَ} [سورة الشعراء: ٨٢] وموسى عليه السلام يستغفر ربه من الخطأ الغير متعمد، فيقول كما أخبر الله عنه بقوله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [سورة القصص: ١٦]. وعيسى عليه السلام يذكر الله عنه قوله: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة المائدة: ١١٨] وداوود عليه السلام الأواب المخبث أخبر الله عنه بقوله: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنكُوبُونَ وَالضَّالُّونَ} [سورة النمل: ٢٥].

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد البغدادي.

دار الكتاب العربي. بيروت. ط. ٣. ١٤١٦هـ، ١ / ١٨٧

(٢) الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، موقع الدرر السنية، [www.dorar.com](http://www.dorar.com). ص ٨١.

حَمَاهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ [سورة ص: ٢٤].

الدلالة الخامسة: أن طلب المغفرة من الله ينمي في الفرد جانب التربية الذاتية، ففي الاستغفار تعويد للنفس على التخلية والتزكية، فموضوع التربية الإسلامية يركز على الفرد قلبًا وقالبًا، لذا كان لزامًا على هذا الفرد أن يسعى بنفسه لتحقيق مبادئ الإيمان في نفسه، وفي مقدمتها تحقيق العبودية لله عز وجل، وعماراة الأرض.

المبحث الثاني / على صعيد علاقتهم مع المخلوقين.

تتمثل حاجة الأنبياء عليهم السلام للدعاء للإعانة على مهمة الدعوة الموكلة إليهم، وحاجتهم إلى السند والقوة والسادد في الرأي، ولتفريج كربهم مع أقوامهم، أو للانتصار عليهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم سفراء الله إلى عباده، ومهمتهم هي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، ولإبلاغ هذه الأمانة يتطلب منهم مقومات تعينهم على تحقيقها كالقوة والجسارة عند تبليغهم للناس ما يخالف عقيدتهم، وبالتالي لا بد لهم من التحصين والدعم، فكان اللجوء إلى الله عز وجل بالدعاء، واليقين بموعود الله هو القوة المتينة لهم، وهو الحصن الحصين الآمن عند تبليغهم رسالة الله عز وجل.

الدلالة الأولى / دعاء الاستغاثة من الأنبياء عليهم السلام لتفريج كربهم مع

أقوامهم:

كدعاء نوح وصالح ولوط عليهم السلام في طلب النصرة والمعونة من الله عز وجل

على أذى أقوامهم:

قال تعالى: ﴿١٠﴾ [سورة القمر: ١٠] بعدما يئس نوح عليه السلام من دعوة قومه، وأنكروه وجزروه ونهروه، وسخروا منه، وبعد دعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا، لم يؤمن منهم إلا القليل، لجأ نوح إلى ربه يعلو قلبه الانكسار، فقال: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ﴾ "أي: لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة له على مقاومة قومه، ﴿فَأَنْتَصِرُ﴾ أي: اللهم لي منهم<sup>(١)</sup>، وقال في آية أخرى: قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي أَلَا قَلْبًا يُجَاهِدُ﴾ [سورة نوح: ٢٦]

أي: "يبدور على وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي مَنكُومًا لَتَكُنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة نوح: ٢٧] أي: بقاؤهم مفسدة محضة لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح -عليه السلام- ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته فأغرقهم أجمعين ونجى نوحًا ومن معه من المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

والله أولى بطلب النصرة من غيره، فهو العظيم سبحانه، القادر على نصر- أنبيائه وأوليائه، وقد جمع نوح عليه السلام بين الشعور بالضعف في قوله (إني مغلوب)، وبين شعوره بالقوة (فانتصر)؛ لأن اللجوء إلى الله قوة ويقين في القلب بقدرة الله على نصرته، والذل في الدعاء والانكسار بين يديه سبحانه من موجبات إجابة الدعاء كما أسلفنا سابقًا.

(١) السعدي، تفسير السعدي، ١ / ٨٢٥ .

(٢) السعدي، تفسير السعدي، ١ / ٨٨٩ .

ونبي الله صالح عليه السلام يدعو ربه فيقول: {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٣٩﴾}

[سورة المؤمنون: ٣٩]

ولوطاً إذا نادى ربه منكسراً متألماً على حال قومه وما وصلوا إليه من الفساد

والشدوذ لجأ إلى ربه يسأله الفرج والنجاة من أن يصله ضرهم فقال: {رَبِّ لِي لِي، ايعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾}

[سورة الشعراء: ١٦٦].

واستنصاره ربه في موضع آخر حيث

قال: {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾} [سورة العنكبوت: ٣٠].

الدلالة الثانية/ عناية الأنبياء - ومنهم إبراهيم وزكريا - عليهما السلام - بالدعاء للأبناء:

دعا إبراهيم عليه السلام لذريته فقال:

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٤٠﴾} [سورة إبراهيم: ٤٠]،

وزكريا عليه السلام سأل الله الذرية الطيبة، فقال كما قال تعالى عنه:

{هَذَا لَكَ لَمْ لِي قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾} [سورة آل

عمران: ٣٨]، وحين وهب الله له يحيى عليه السلام، دعا الله فقال كما قال

تعالى: {يُرْسِلْنِي فَرْثًا وَيَرْسِلْنِي مِنْ أَلْتِرٍ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾} [سورة مريم: ٦].

وفي تفسير الآيات يقول الطبري رحمه الله: "رب اجعلني مقيم الصلاة أي: مؤدياً ما

ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي من الصلاة، (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) يقول: واجعل أيضاً من

ذريتي مقيمي الصلاة لك، (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي) يقول: ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك

————— الدلالات القرآنية المستفادة من أدعية بعض الأنبياء في القرآن الكريم —————

وعبادتي إياك، وهذا نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، فمن أراد صلاح ذريته فلينهج نهج الأنبياء قبله، من دعائهم لذرياتهم، ولا يعني هذا الاعتماد على الدعاء فقط في التربية، وإنما هي الباب الأول والأخير لها، وبينهما وسائل تربوية تعين المربي والأبناء معاً على القيام بشعائر الله ومن أهمها الصلاة<sup>(١)</sup>.

فمن أحسن التعامل مع أولاده وأنشأهم تنشئةً صالحة في صغرهم نفعوه في الدنيا والآخرة، فأحسنوا إليه في حياته وحياتهم ببرهم له، وطاعتهم وعنايتهم، وانتفع بهم بعد مماته بدعائهم واستغفارهم، فقال تعالى:

{وَالَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَنَا مِن نَّوْمٍ أَوْ وَجِنَا ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

به}[سورة الفرقان: ٧٤].

وذكرنا عليه السلام طلب من الله أن تكون ذريته {ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً<sup>ط</sup>}، فلم يسأل ربه أي ذرية، وإنما أرادها أن تكون ذرية طيبة، لأن الذرية الفاسدة فيها مفسدة ومشقة.

الدلالة الثالثة/ عناية الأنبياء عليهم السلام بالدعاء للوطن كدعاء إبراهيم عليه

السلام: قال تعالى :

{وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ حَلالًا مَّحْمُودًا لِلَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ نَهْ مِنْهُمُ الْمُفْسِدُونَ وَيُحْيِي

يُحْيِي إِلَى يَوْمِ النَّارِ وَيَسِّرْ لِي الصِّرَاطَ} [سورة البقرة: ١٢٦].

(١) الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة

يقول السعدي رحمه الله: "وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدًا آمنًا، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيّد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدّبًا مع الله، إذ كان دعاؤه الأول فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيّدًا بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن: (لِخَلْقِهِمْ مُحَمَّدًا)، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: {نَهَوْهُمْ} أي: ارزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلاً {يُخَيِّجُ} أي: ألقئه وأخرجه مكرهاً (إِلَى يَوْمِ النَّارِ وَيُنْصَلِّ الْمَصِيرُ).<sup>(١)</sup>

أراد الله سبحانه وتعالى أن يلفت نظر إبراهيم إلى أن عطاء الألوهية ليس كعطاء الربوبية، فإمامة الناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن، أما الرزق فهو عطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر، لأن الله هو الذي استدعانا جميعاً إلى الحياة وكفل لنا جميعاً رزقنا<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: {رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا لِحْلِحِ} تكررت في آية أخرى في سورة إبراهيم حيث

قال الله تبارك وتعالى: إلى:

{وَأَذَقَ آلَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ} [سورة إبراهيم: ٣٥]،

فالأولى جاء بها نكرة، والثانية جاء بها معرفة، ويذكر الشيخ الشعراوي رحمه الله الحكمة من

(١) السعدي، تفسير السعدي، ١ / ٦٦.

(٢) الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، ت د، مطابع أخبار اليوم، ط ١٩٩٧م، ١ / ٣٤٧ -

هذا التكرار فيقول: "إن إبراهيم حين قال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}، طلب من الله شيئين: أن يجعل هذا المكان بلدًا، وأن يجعله آمنًا، والبلد: هو البقعة، تنشأ في الجلد فتميزه عن باقي الجلد كأن تكون هناك بقعة بيضاء في الوجه أو الذراعين فتكون البقعة التي ظهرت مميزة بياض اللون، والمكان إذا لم يكن فيه مساكن ومبان فيكون مستويًا بالأرض لا تستطيع أن تميزه بسهولة، فإذا أقمت فيه مباني جعلت فيه علامة تميّزه عن باقي الأرض المحيطة به"<sup>(١)</sup>.

فابتدأ سياق القرآن في ذكر دعاء إبراهيم عليه السلام بسؤاله الأمن لمكة قبل أن يجعلها بلدًا، أي عامرة، ومن ثم سأل الله أن يعمرها ويجعلها بلدًا وذلك لأهمية الأمن والاستقرار للمكان قبل الإقامة فيه، ومادام هناك رزق وثمرات تكون مقومات الحياة موجودة فيبقى الناس في هذا البلد.

### الخاتمة والتناج

الحمد لله الذي علم المؤمنين دواء أرواحهم كما علمهم دواء أجسادهم، فالتقرب منه سبحانه والزلقى إليه والاستعانة به تعالى هو عين الدواء، ودعاؤه مخ العباد، والمؤمن حريص على تربية نفسه، وتحسين حياته، ومفتاح اطمئنان قلبه وسكون روحه ارتباطه الكلي بالله عز وجل، والمواظبة على اللجوء إليه، والاعتراف بحاجته له، وتطهير نفسه الدائم من أدرانها ليكون سليماً معافى النفس والقلب، مقبلاً على الحياة بنفس صحيحة.

والدعاء في القرآن الكريم، هو النموذج الذي ارتضاه الله لعباده فأمرهم به، وبين لهم كل ما يتعلق بهذه الشعيرة، وقد اخترت أدعية بعض الأنبياء خاصة لبيان بعض الهدايات

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص ٣٤٨.

القرآنية فيها، لأن دعاء الأنبياء أكمل الدعاء وأشمله لأموال الدين والدنيا، إضافة إلى الكيفية التي اختص بها الأنبياء في دعواتهم، فضلاً عن الآداب التي تأدبوا بها وأحوالهم حال الدعاء. لقد فهم الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أن من أبرز مظاهر الوحدانية التي يدعون أقوامهم إليها هي اللجوء إلى الله عز وجل وحده، وتقديم مطالبهم وحاجياتهم بين يديه سبحانه، فحققوا بذلك العبودية بأسمى معانيها في كون الإيمان ليس تصديقاً فقط بل قول وفعل، والدعاء هو ثمرة الإيمان وتصديق القلب.

#### ومن أبرز نتائج الدراسة:

- أن للدعاء نوعين متلازمين وهما دعاء العبادة، ودعاء المسألة.
- الدعاء ليس السؤال والطلب فقط، بل هي العبادة ذاتها وهو ما يسمى بدعاء العبادة.
- أن دعاء المسألة داخل ومتلازم مع دعاء العبادة.
- توافق أدعية الأنبياء في موضوعاتهم وأساليبهم وألفاظهم في دعاء الله سبحانه وتعالى.
- بيان أن الدعاء عند الأنبياء اشتمل على آداب عظام تمكنت من نفوسهم حتى ارتقت دعواتهم لمقام الاستجابة من الله تعالى.
- مناجاة الأنبياء الله سبحانه بأسماؤه الحسنی وصفاته العلیا عند الدعاء، والتقرب إليه بوصف الربوبية قبل الدعاء.
- أن الأنبياء كانت لديهم مطالب بشرية كطلب الرزق، والولد، والنصرة وغيرها من أمور الدنيا، فلم يطلبوها إلا من الله سبحانه وتعالى.

- أهمية الدعاء للذرية بالتوفيق في الدين قبل الدنيا.
  - علو همة الأنبياء في الدعاء، ويتضح ذلك من حرص الأنبياء عليهم السلام على الدعاء للذرية بالتوفيق في الدين قبل الدنيا.
- يتضح من آيات الدعاء حرص الأنبياء عليهم السلام على تطهير القلب وتبييض الصحيفة بالاستغفار قبل الشروع في الدعاء.